

الامامة والسياسة

[71] ابن أبي بكر: إلى متى ؟ قد وا [أعذرنا وأعذرت إن كنت تريد الاعتذار، وا] لتأذن لنا في لقاء القوم أو لنصرفن. إلى متى تستهدف نحورنا للقتال والسلاح، يقتلوننا رجلا رجلا ؟ فقال علي: قد وا [أرانا أعذرنا، أين محمد ابني ؟ فقال: ها نذا. فقال: أي بني، خذ الراية، فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها، فأخرهما عنها، وكان علي يؤخرهما شفقة عليهما، فأخذ محمد الراية، ثم قام علي، فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها، ثم قال: احزموني، فحزم بعمامة أسفل من سرتي، ثم خرج وكان عظيم البطن، فقال لابنه: تقدم وتضع (1) الناس حين سمعوا به قد تحرك، فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتا، فقال علي: ما هذا ؟ فقبل عائشة تلعن قتلة عثمان. فقال علي ورفع بصره إلى السماء: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل، وقد كان علي عبأ الناس أثلاثا، فجعل مصر قلب العسكر، واليمن ميمنته، وربيعه ميسرته، وعبأ أهل البصرة مثل ذلك، فاقتتل القوم قتالا شديدا، فهزمت يمن البصرة يمن علي، وهزمت ربيعة البصرة ربيعة علي، قال حية بن جهين: نظرت إلى علي وهو يخفق نعاسا فقلت له: تا [ما رأيت كاليوم قط، إن بإرائنا لمائة ألف سيف، وقد هزمت ميمنتك وميسرتك، وأنت تخفق نعاسا، فانتبه ورفع يديه، وقال: اللهم إنك تعلم أنني ما كتبت في عثمان سوادا في بياض، وأن الزبير وطلحة ألبا وأجلبا على الناس، اللهم أولانا بدم عثمان فخذ اليوم. ثم تقدم علي فنظر إلى أصحابه يهزمون ويقتلون فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية، أن اقتحم، فأبطأ وثبت، فأتى علي من خلفه، فضربه بين كتفيه، وأخذ الراية من يده، ثم حمل، فدخل عسكرهم وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان، في إحداهما عمار، وفي الأخرى عبد الله بن عباس، ومحمد بن أبي بكر، قال: فشق علي في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثم خرج وهو يقول: الماء الماء، فأتاه رجل بإداوة فيها غسل فقال له: يا أمير المؤمنين، أما الماء فإنه لا يصلح لك في هذا المقام، ولكن أدوقك هذا الغسل فقال: هات، فحسا منه حسوة، ثم قال: إن غسلك لطائفي (2)، قال الرجل: لعجبا منك وا [يا أمير المؤمنين، لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم، وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له علي: إنه وا [يا بني أخي ما ملا صدر عمك شئ قط، ولا هابه شئ ثم أعطى الراية لابنه، وقال: هكذا فاصنع، فتقدم محمد بالراية ومعه الانصار حتى انتهى إلى الجمل والهودج وهزم ما يليه، فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديدا حتى كانت الواقعة والضرب على الركب _____ (1) تضع الناس: خضعوا وذلوا. (2) طائفي: نسبة إلى الطائف وهي بلاد ثقيف بالحجاز. (*)
